

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا وحيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، واللعة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ النور: ٣٦

في الآية المباركة محطات عديدة وكثيرة جدية بالتدبر والتأمل والتزود والاستضاءة ، ومنها :

ماهو المراد بالإذن في قوله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع)؟

نقول : هناك مبدئياً عدة احتمالات :—

(١) الأذن التشريعي : أي الإباحة ، أي الجواز، أي أباح الله وأجاز وحل أن ترفع ولكن هذا الاحتمال بحسب الظاهر منتفي

وذلك لوجوه عديدة ربما تبلغ خمسة وجوه نشير الى اثنتين منها ونرجئ الباقي الى المحاضرة اللاحقة إن شاء الله : أ —

الرفعة أمر تكويبي. ف (أن ترفع) أي تسمو قدراً ومترلة، كما في قوله تعالى رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ

أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ **غافر: ١٥** او قوله تعالى يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ **المجادلة: ١١**

او قوله تعالى وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ **الأنعام: ٨٣**

فالرفعة هي فعل الله وهي أمر تكويبي ، ولا يعقل أن يتعلق الأذن التشريعي بالأمر التكويني (وهو فعل الله).

وقد اشرنا سابقاً الى أن هذا الاحتمال واضح البطلان اذ كيف يعقل أن يقال :في بيوت أباح الله — اباحة تشريعية — أن يرفعها إباحة تكويبية .

أذن لو أريد بـ (أن ترفع) ماهو ظاهرها (من الرفعة التكوينية اي السمو) و هو ما دلت عليه الروايات ايضاً، لكفى بذلك دليلاً

على عدم ارادة الاذن التشريعي من (اذن.ب) إن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية وسابقتها ، في مقام التعظيم بأعلى درجات

التعظيم وهذا مما لا يتناسب بالمرّة مع الإباحة التشريعية وإنما ينسجم مع الأذن التكويني ، اذ يقول تعالى في الآية السابقة: اللَّهُ نُورُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ

زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ

لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ **النور: ٣٥** إذا المقام مقام قدس ومقام العظمة الإلهية التي لا شئ أعظم منها على الإطلاق .

فإذا لاحظنا تعلق (في بيوت) بـ (مشكاة) — كما عليه أعظم المفسرين من مدرسة أهل البيت وعدد غير قليل من غيرهم —

نعلم أن المقام مقام العظمة الإلهية ، ومقام القدس ، وهو يقتضي أن يكون هذا الأذن أذناً تكويبية ، وان يكون المراد :حتماً بان

ترفع الرفعة التكوينية ، ذلك ان الله تعالى يضرب مثلاً لنوره بقوله : (مثل نوره كمشكاة ... في بيوت أذن الله أن ترفع)

فالمشكاة في بيوت رفيعة سامية جداً، تصلح ان تكون مثلاً لنوره تعالى، أما أن يقال مثل نوره كمشكاة ... في بيوت أباح الله او

أجاز، أي أن تبين ، فهذا لا ينسجم مع الذوق السليم ، ولا يتعقل صدور هذا الكلام من الحكيم .

والحاصل: ان رفعة هذه البيوت وهي بيوت الأنبياء وبيت علي وفاطمة (عليهم أزكى الصلاة والسلام) منها ، بل من أفضلها —

كما في الرواية— ، تتناسب مع هذه الرفعة وهذا المقام .هذه هي القرينة الثانية ، وهناك قرائن أخرى نتركها للبحث القادم إن شاء

الله .

(٢) الإذن التكويني :ولتوضيح النوعين من (الاذن) يمكنص التمثيل بما لو أن شخصا اراد أن يدخل دارك ، وهو لا يعلم أن

الدخول مباح له أم لا فتقول له : قد أذنت لك ، فهذا هو الإذن التشريعي، اما الأذن التكويني :فهو أن تفتح له الباب مثلا ، أي

ترفع المانع التكويني؛ بان تزيل من أمامه العثرات والحواجز ، اذن رفع المانع التكويني هو اذن تكويني وعليه : الاحتمال الثاني للمراد بـ(في بيوت اذن الله) هو اذن الله تعالى تكوينا أن ترفع أي أزال من مقابلها ما يمنع من ان تتسامى وتعالى، وذلك يعني ان المقتضي في الأنبياء للسمو والتعالى موجود ،والله سبحانه وتعالى قد أزال المانع من ذلك السمو والتعالى . ٣) أن يكون المراد من (أذن) هو: شاء، أي شاء الله أن ترفع أي تعلقت مشيئته التكوينية بان ترفع .

وهذا الوجه هو الذي ينبغي أن يصار إليه بحسب الظاهر وذلك لأدلة عديدة نذكر بعضها ونرجئ الباقي للمستقبل إن شاء الله . وللتوضيح نقول:(الأذن) استعمل في القران الكريم .معنى(المشيئة)في مواطن عديدة : — منها : تَوَاتَىٰ أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ **إبراهيم: ٢٥** ومنها : على لسان عيسى المسيح (على نبينا واله وعليه أركى الصلاة والسلام): وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ **آل عمران: ٤٩** أي بمشيئة الله ، وهناك آيات أخرى مشابهة .

اذن (في بيوت اذن الله أن ترفع)أي شاء أن ترفع ، ويؤكد ذلك ويدل عليه الآيات الأخرى التي تدل على أن هذه المشيئة تكوينية مثل قوله تعالى **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا الأحزاب: ٣٣** وقوله تعالى **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ آل عمران: ٣٣** وقوله تعالى **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُّلكًا عَظِيمًا النساء: ٥٤** وكذلك الآيات الأخرى الدالة على أن هذه الرفعة وهذا السمو أمر تم بمشيئة الله التكوينية .

إن قلت : وهل إيمان المؤمن، وكفر الكافر، وضلال الضال ، بمشيئة الله التكوينية ؟ أي هل شاء الله للكافر أن يكون كافرا، أم شاء له أن يكون مؤمنا ؟ لكن الأول يلزم منه الجبر ، والثاني يلزم منه الخلف ؛ اذ كيف تحصل مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى؟ وكيف تتغلب ارادته عليه — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً—؟ **قلنا** :الله سبحانه وتعالى شاء للكافر الإيمان مشيئة تشريعية ، أي أمره بالإيمان من الجهة التشريعية ، أما من الجهة التكوينية فان الله سبحانه وتعالى شاء له مشيئة تكوينية أن يكون مختاراً في مشيئته وفي انتخابه ، وان يكون قادراً على الترجيح والمفاضلة . اذاً مشيئة الله تعالى تعلقت على إيجاد القدرة له على الاختيار، فلا تناهي ، وهذا وجه من وجوه تفسير معادلة (الأمر بين الأمرين) التي أوضحها أهل بيت العصمة (سلام الله عليهم) ، وتفسير قوله تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) أي أن هناك مشيئة للعبد لكنها في طول مشيئة الله ، أي أن الله شاء للعبد تكويناً أن يكون قادراً على انتخاب أي نجد من النجدين شاء . فالعبد حر ومختار في انتخاب الإيمان او الكفر، باذن الله ومشيئته . **بل نقول**: لو لم يكن العبد مختاراً لكان ذلك خلاف مشيئة الله أي لو قلنا بالجبر للزم من ذلك عجز الله وانه لا يستطيع — والعياذ بالله — أن يعطي للعبد القدرة على الاختيار. هذا هو الجواب بشكل مختصر عن هذه الشبهة بشكل عام ، ولكن هناك شبهة خاصة في المقام وهي : ماهو فضل الأنبياء والأئمة علينا مادام الله قد شاء تكويناً أن ترفع مكانتهم ومزلتهم وان تسمو بيوتهم ؟ وسوف نجيب — إن شاء الله — عن هذه الشبهة بوجوه ستة ، اثنان منها او ثلاثة ذكرت في علم الكلام، ولعله تزداد الأجوبة إن شاء الله تعالى ،

لكن قبل ذلك نتوقف عند كلمة ((أذن)) لان فيها مفتاح الحل فنقول :

لماذا لم يقل الله تعالى (في بيوت شاء الله أن ترفع) اذا كان المعنى والتفسير هو المشيئة كما تقدم . بل قال تعالى: (في بيوت اذن الله ان ترفع)؟ **الجواب**: هنا إشارة لطيفة ودقيقة ، تتضمن الإشارة الى جواب من الأجوبة الستة الآتية وهي : أن الله تعالى يريد أن يثبت الاختيار في ضمن المشيئة التكوينية ، فإذا قال الله سبحانه في بيوت شاء الله أن ترفع فقد يتوهم متوهم أنها مشيئة تكوينية جبرية وقسرية، وان النبي او الإمام سيكون مجبوراً .

أما قوله تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع فهي مشيئة جرى التعبير عنها بـ(أذن)؛ وذلك لان الإذن يستبطن فيما يستبطن رفع الموانع، وأن المقتضي في النبي والامام موجود ضمنا، كما يعني انه كان هناك سعي من قبله وجدية، وانه كانت هناك قابلية يدل على انه كان هنالك نجاح له في عوالم سابقة في الامتحانات الالهية.

والان نتقل الى الجواب الأول و الذي تدل عليه روايات عديدة وربما سنذكر بعضها في المستقبل اذا شاء الله .

ونقول للتوضيح: كانت هناك عوالم سابقة ؛ مثل (عالم الذر) و (عالم الأنوار) "خلقكم الله أنوارا فجعلكم بعرضه محققين حتى من الله علينا بكم فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع"⁽¹⁾ إذا الرسول الاعظم صلى الله عليه واله والأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم في عوالم سابقة وفي غامض علم الله ومكتوم سره قد امتحنهم واختبرهم فنجحوا في تلك الامتحانات . ولتقريب هذا المعنى بمثال عرفي نقول: في الجامعات هناك ضوابط فمن يحصل على درجات عالية يمكن أن يدخل كلية الطب مثلا , أما الذي معدلاته منخفضة فلا يقبل في تلك الكلية بل يقبل في الكليات التي لا تحتاج الى كفاءة ودقة خاصة , كما في بعض الفروع الإنسانية كعلم الاجتماع او علم النفس, - علما أن كثيرا من قواعدهما هي خلاف القواعد , وهناك إشكالات في أصلهما او فصلهما - .

وهنا نقول: ان الطالب الذي قبل في الكلية منخفضة المستوى، ليس له أن يحتج على إدارة الجامعة؛ بالها فضلت غيره عليه وقامت بالتمييز؛ وذلك لأنه في مراحل سابقة وهي الإعدادية كانت درجاته منخفضة , وقبوله في كلية منخفضة نتيجة طبيعية لدرجة سعيه , ومستوى نجاحه السابق، هذا مثال عرفي للتقريب الى الأذهان , وستأتي الروايات لاحقا إن شاء الله تعالى .**والنتيجة:** أن الجواب الأول هو أن أولياء الله وسائر الأئمة في امتحانات جرت في العوالم السابقة نجحوا بنجاح منقطع النظير , كما أن ذلك بالنسبة إلينا صحيح لأنه ورد (أن الناس معادن كمعادن الذهب والفضة) فهناك مَنْ معدنه ذهب وهناك مَنْ معدنه فضة , وهناك من طيبته من عليين وبقايا طينة المعصومين (عليهم السلام) وهناك من طيبته من سجين وذلك لنجاح المؤمن . وسقوط الكافر او المنافق , في تلك العوالم السابقة .

وهذا من الأجوبة التي يجاب بها عن (الطينة) كما نجيب بها عن موضوع فضل الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) ، وقد نتطرق لتفصيل ذلك في المستقبل باذن الله تعالى. وهناك جواب آخر قد يتنافى مع هذا الجواب ظاهراً — وهو الجواب السادس الآتي لكننا سوف نحلله ونتعرف على الفرق الدقيق بينهما إن شاء الله تعالى — وهو: انه لم تكن هناك امتحانات في العوالم السابقة للأنبياء والأئمة (عليهم السلام) بل كان هناك علم من الله سبحانه وتعالى قبل خلق الخلائق كافة: انه عندما يخلق الخلائق فانه سيكون أولئك الأنبياء والأئمة عليهم السلام اجمعين السابقون للشهادة والتوحيد .ها هو الجواب الأول وستأتي بقية الأجوبة الأخرى إن شاء الله تعالى، كما سيأتي بيان الاصح من الوجهين الاول والسادس.

وفي الختام نقول: هذه الأيام تتعلق بالصديقة الزهراء (صلوات الله عليها) لذا سننقل لكم رواية تتحدث عن فضلها وهي مصداق ومظهر من مظاهر رفعة مكانة فاطمة الزهراء (عليها اذكي الصلاة والسلام) , وهي رواية جميلة ولعل الكثير لم يسمع بها : فعن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه واله) مخاطبا بضعته الزهراء (عليها السلام) : (وإذا استقر أولياء الله في الجنة , زارك ادم ومن دونه من النبيين). أي : عندما يستقر أولياء الله في الجنة — والإطلاق يشمل الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله) — رزقنا الله وإياكم الجنة إن شاء الله تعالى — فان أول عمل يقومون به او على الأقل من أوائل الأعمال ٢ هو زيارة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها اذكي الصلاة والسلام). فهل هذا كثير على الزهراء لمن يعرف مقامها ؟ أما من لا يعرف مقامها فنقرب له بهذا التقريب : أليس الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها , وهل يستكثر عليها وهي بنت خاتم النبيين مع قطع النظر عن مقامها, بل كرامة لأبيها رسول الله (صلى الله عليه واله) أن يزورها كافة الأنبياء والمرسلين، ثم انها أم أبيها , ومحور أصحاب الكساء (هم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها), هذه السيدة العظيمة والطاهرة القديسة, الزهراء المرضية , اذا كان هذا شأنها وهذه منزلتها فكيف تظلم وتبتلك الطريقة المفجعة, و الرزية الفادحة التي لا يتصورها خيال إنسان: أن يحرق بابها, ويكسر

ضلعها , وان ينبت المسمار في جنبها ,فانا لله وانا اليه راجعون والى الله المشتكى ,والمنتقم هو ولي الله الأعظم (عجل الله فرجه الشريف) وجعلنا من خالص خدمه وأعوانه وأنصاره وشيعته والمستشهادين بين يديه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين ...

الهوامش.....

(١)المقطع المذكور ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة

(٢) الظاهر من الرواية انه اول عمل يقومون به كما لا يخفى على المتأمل، وسياتي بيان ذلك باذن الله تعالى.

يمكن ملاحظة الدرس والتقارير على الموقع التالي : m-alshirazi.com